تنوع خطاب القرآن الكريم لنبيه ﷺ في العهد المكي
(دراسة لغوية)

الدكتور عبد الرزاق رحماني
استاذ مساعد بجامعة
هرمزگان(بندر عباس- ايران)

حسين درستكار
طالب الدراسات العليا
(كاتب مسؤول)

The diversity of the Holy Quran For his prophet (Peace be upon him) In the Mecca Covenant (study of language)

Dr. Abdul Razzaq Rahmani
Prof.at the University of Hormozg an (Bandar Abbas - Iran)

Hussein Darstakar
Graduate student
(Author responsible)

The research deals with the forms of addressing God to His Prophet Muhammad (Peace be upon him) as stated in the verses of the Holy Quran, Then it is related to a certain period, namely the Makkah Covenant, when the Prophet (Peace be upon him) was in Makkah before the emigration.

La diversité du discours de noble Coran à son prophète à l'époque mecquoise (étude linguistique)

-Dr. Abdul Razzak Rahmani
Professeur ajoint à l'Université de Hormozgan (Bandar Abbas - Iran)…
-Hussein Darsstikar
étudiant diplômé, (Auteur responsable)…

Cette recherche traite les méthodes du discours d'Allah à son prophète Mouhammet -PSL- dans les versets de noble Coran prenant compte la période mecquoise avant l'émigration…

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

إن القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي حفظه الله من الزيادة والنقصان مع ما يحتويه من آيات كريمة، لاتخلوا سوره من أن تكون داخلة في إحدى هاتين الحالتين إما مكية أو مدنية؛ وهذه السور تنوّعت من حيث بدايتها وموضوعها، فلكل عهد خطاب وأسلوب خاص على حسب المخاطبين ومعتقداتهم فالقرآن جاء للأزمنة الثلاثة الماضي والمضارع والاستقبال.

والعهد المكي يكون ما قبل هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة، ذلك العهد الذي كان في بداية البعثة المحمدية وكان أساس المخاطبين فيه بعد أهل الإسلام هم الكفار والمشركين فكان من اللازم أن يخاطبوا بأسلوب خاص وألفاظ تبيّن معتقداتهم الباطلة وتتحداهم على ادعائهم وإبطالهم للدين القويم؛ فدراسة هذا التنوع في هذا العهد له أهمية خاصة فهي توصل القارئ إلى الفهم الدقيق للدين ولمعرفة كتاب الله عز وجل وتدبر آياته.

فهذه المقالة تهدف إلى بيان خطابات القرآن الكريم في أحد تلك الأزمنة ألا وهو العهد المكي وهو العهد والزمان الأول لنزول الوحي الذي خاطب الله فيه نبيه وجاءت خطاباته على نحو خاص يناسب حالهم وزمانهم.

الكلمات الرئيسية: الخطاب، القرآن الكريم، النبي، العهد المكي

مقدمه:

الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بطرق مختلفة وبأساليب خاصة، وهذا الأمر بوصفه مرحلة من مراحل خطاب القرآن الكريم التي خاطب المولى عز وجل في إثنائها خلقه على اختلاف دياناتهم وأجناسهم ومعتقداتهم.

فالرب عز وجل حينما أنزل القرآن الكريم لم يجعل خطاباته خاصة لقبيلة أو طائفة معينة ولم يخاطب به النبي فقط أو المؤمنين أو الكفار والمشركين بل نرى ما جاء فيه من نداءات وخطابات تشمل جميع أصناف البشر من مؤمن وكافر، صغير وكبير، ذكر وأنثى، غني وفقير، ملك ومملوك و....

وإذا نظرنا إلى القرآن في خطاباته من جهة الزمان نرى أنها لم تأت لذلك الزمان فقط بل وتحدثت عن الماضي والمستقبل مخاطبة أنواع البشر بصيغ مختلفة.

فهذه المقالة تهدف إلى بيان خطابات القرآن الكريم في أحد تلك الأزمنة ألا وهو العهد المكي وهو العهد والزمان الأول لنزول الوحي الذي خاطب الله فيه نبيه وجاءت خطاباته على نحو خاص يناسب حالهم وزمانهم.

- مفهوم الخطاب على المستوى اللغوي:

بينت كتب اللغة معنى الخطاب بيانا واضحا باستشهاد من كلام العرب واقتباس من كلام الله تعالى الذي هو أحد أسس كلام العرب في استشهادهم للغة العربية.

جاء في الصحاح للجوهري: "الخَطْبُ: سبب الأمر؛ نقول: ما خَطْبُكَ؛ وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم؛ وخاطبه بالكلام مُخاطَبَةً وخِطاباً[١]؛ وجاء في (المصباح المنير):"خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا بِاخْتِلَافِ مَعْنَيَيْنِ فَيُقَالُ فِي الْمَوْعِظَةِ خَطَبَ الْقَوْمَ وَخَطَبَ الْمَرْأَةَ إلَى الْقَوْمِ إذَا طَلَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ"[٢]. وفي مفردات الراغب: "الخطب (الخطب مصدر خطب) والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام"[٣].

ويأتي الخطاب في اللغة أيضا بمعنى المحاورة ومن ذلك تفسير بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾[٤]، ومعنى يحاوره في التفاسير عند المفسرين على ما يلي:

الزمخشري: "يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحار كلمة"[٥]؛ الرازي: "والمحاورة مراجعة الكلام من قولهم حار إذا رجع قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ

---

(١) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ١٩٩٨م، الصحاح، دار الفكر العربي، مادة خطب ١٧٧/١/.

(٢) الفيومي، لأحمد بن محمد، ١٩٨٧م، المصباح المنير، بيروت، المكتبة العلمية،١٧٣/١.

(٣) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، ١٩٩٧م، مفردات ألفاظ القرآن، الطبعة الثانية، بيروت، دار القلم، ٣٠٤/١.

(٤) سورة الكهف، الآية ٣٤.

(٥) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٧م، الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي ٦٧٤/٢.

﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾[١]"[٢]؛ والشوكاني: "والكافر يحاور المؤمن، والمعنى: يراجعه الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المراجعة، والتحاور التجاوب"[٣].

مفهوم الخطاب على مستوى السياق القرآني:

جاءت مادة (خ ط ب) في القرآن الكريم ثماني مرات، وثلاث مرات وردت بصيغة (خطاب)

الأولى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٤]

الثانية: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٥]

الثالثة: ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[٦]

معنى الخطاب في الأولي: "قال: قهرني، وذلك العز قال: والخطاب: الكلام[٧]"؛ ومعنى فصل الخطاب في الثانية: "وفَصْلُ الخِطابِ: الحُكْمُ بالبَيِّنَةِ أو اليَمينِ أو الفِقْهُ في القَضاءِ أو النُّطْقُ بأمَّا بَعدُ[٨]"؛ ومعنى الخطاب في الثالثة: "وفي قوله: لا يملكون منه خطابا قال: كلاما[٩]".

---

(١) سورة الإنشقاق، الآية ١٤.

(٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، ٢٠٠٠م، مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية،١٠٧/٢١.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٠م، فتح القدير، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،٣٩٠/٤.

(٤) سورة ص، الآية ٣٤.

(٥) سورة ص، الآية ٢٠.

(٦) سورة النبأ، الآية ٣٧.

(٧) ابن جرير الطبري، محمد، ١٤٠٥ه، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر،١٧٢/٢٣.

(٨) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ١٩٩٦م، القاموس المحيط، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،٢٢٢/١.

(٩) السيوطي، جلال الدين، ١٩٩٣م، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، ٣٩٩/٨.

ففي هذه الآيات الثلاث قرن الخطاب بالعزة وبشدة البأس والحكمة وبالعظمة والجلال لله تعالى؛ فقد خرج الخطاب في هذه الآيات من معناه اللغوي الذي هو مراجعة الكلام إلى مستوى أرفع متلاصق بمعان سامية تتفاوت بين العزة والحكمة والعظمة الربانية.

الفرق بين الخطاب والكلام:

بين الخطاب والكلام فرق، بينه الصرصري في كتابه شرح مختصر الروضة فقال: "وَأَمَّا الْخِطَابُ فَهُوَ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ يُخَاطِبُهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، وَهُوَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُفَاعَلَةِ، نَحْوَ ضَارَبَهُ مُضَارَبَةً وَضِرَابًا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ هُوَ الْكَلَامُ وَالْمُكَالَمَةُ، وَهِيَ تَوَجُّهُ الْكَلَامِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، لِأَنَّا نَقُولُ خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ، فَلَوْ كَانَ الْخِطَابُ هُوَ الْكَلَامُ، لَكَانَ التَّقْدِيرُ: كَالَمَهُ أَوْ كَلَّمَهُ بِالْكَلَامِ، فَيَكُونُ تَكْرَارًا أَوْ تَأْكِيدًا، وَالْأَصْلُ، خِلَافُهُ؛ نَعَمِ، اسْتُعْمِلَ الْخِطَابُ فِي الِاصْطِلَاحِ بِمَعْنَى الْكَلَامِ، فَصَارَ حَقِيقَةً اصْطِلَاحِيَّةً"(١).

هناك من القدماء من عدل عن لفظ خطاب الله إلى كلام الله وبيّن دليله على ذلك وهو لأن كتاب الله وحكمه قديم لايصح فيه الخطاب؛ وإذا قلنا لكلام الله بأنه خطاب فحينئذ يقتضي بأن يكون بين اثنين وهذا لايصح من أجل قِدَمه؛ ودليلهم على ما ذكروا أمرين، أَحَدُهُمَا: أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنًى قَائِمٌ بِالنَّفْسِ عِنْدَهُ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ لِغَيْرِهِ حَتَّى يَكُونَ خِطَابًا؛ وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الْأَزَلِ مَنْ يُخَاطِبُهُ(٢).

تنوع خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ)في العهد المكي:

من الأمور المسلّمة عند المسلمين ومما يعلمه الغالبية عن طريق التحقيق والمطالعة وقراءة كتاب الله أن بعض الأنبياء من بعث إلى قوم أو قبيلة كنبي الله يونس (عليه السلام)، ومنهم من بعث إلى قرية معينة كأنبياء بني إسرائيل، وأن نبينا

(١) الطوفي، نجم الدين بن عبدالقوي، ١٩٩٠م، شرح مختصر الروضة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،١/٢٥٠.

(٢) مرجع السابق، ١/٢٥١.

محمدا (ﷺ) قد بعث إلى الإنس والجن كافة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(١).

من أجل ذلك يختلف خطاب الله تعالى إليه بالنسبة إلى خطابه لسائر الأنبياء والمرسلين وعلة ذلك أمور منها:

- إن خطاب الله لأنبيائه في القرآن الكريم كان لشيء حدث في زمن مضى وانقضى؛ لذلك ذكره الله تعالى على سبيل السرد لشيء حدث من قبل، وجاء هذا السرد ليحكي لنا وقائع ما حدث.
- أن خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) كان مستمرًا ولم ينته في أثناء نزول القرآن، بل إن القرآن اكتمل نزوله والنبي (ﷺ) ما زال حيًا.
- لم يرد في الخطاب المدني نقل لمحاورة صدرت من النبي (ﷺ) في كلامه مع الآخرين إلا ما جاء في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(٢).
- أن القرآن الكريم معجزة محمد (ﷺ) لأمته، وهو خطاب دعوته الموجه لهذه الأمة؛ فإذا أردنا أن ندرس محاورات النبي (ﷺ) فيجب أن ندرس آيات القرآن جميعها بما فيها قصص الأنبياء السابقين، لأنها النص الذي خاطب به محمد (ﷺ) الناس في زمانه.

قال القاضي عياض: "ومما ذكر من خصائصه وبرّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال تعالى: يا آدم، يا نوح، يا موسى، يا داود، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى؛ ولم يخاطبه إلا: يأيها الرسول، يأيها النبي، يأيها

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٢) سورة التحريم، الآية٣.

المزمل، يأيها المدثر"[١].

وقد نهي الله أمة محمد أن يدعوا نبيهم (ﷺ) باسمه وكنيته وقال تعالى ناهيا ذلك إياهم: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٢].

وقد وصف سبحانه من يفعل ذلك بعدم العقل والفهم كما هو واضح من خلال آيات سورة الحجرات حيث يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٣].

يقول الإمام القرطبي: "وإذا أراد الله بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله: "يأيها النبي"؛ فإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال: " يأيها الرسول""[٤].

خطاب الله تعالى لنبيه بصيغة الخطاب:

تنوعت خطابات الله تعالى لنبيه (ﷺ) من حيث الصيغة وأيضا من حيث الموضوع.

تلك الصيغة على أنواع، يمكن إجمالها في ما يلي:

خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) بصيغة الخطاب وهذه الصيغة تعددت في خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) على أنواع ومنها:

أولا: الخطاب بضمير (أنتَ أو بكاف الخطاب)

أ – الخطاب بلفظ ضمير المخاطب (أنتَ)

ويجيء هذا النوع من الخطاب من الله تعالى للنبي(ﷺ) لإظهار مكانته (عليه الصلاة والسلام) عند خالقه سبحانه وتعالى. مثل قوله تعالى: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا

---

(١) اليحصبي السبتى المغربي، أبو الفضل عياض، ٢٠٠٢م، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، ١/٤١.

(٢) سورة النور، الآية٦٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية٢.

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبو بكر، ١٣٧٢هـ، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشعب، ١٤٨/١٨.

الْبَلَدِ)[١].

استفاد الله من ضمير (أنت) في خطابه للنبي (صلى الله عليه وآله سلم) تعظيما له وتشريفا وتبيينا لمكانته العظيمة عند الله عز وجل وأن حلول النبي (ﷺ) وسكونته في هذا البلد الأمين (أي: مكة) سببا في ازدياد شرفها وعظمها[٢].

وكثيرا ما استعمل هذا الضمير في القرآن الكريم لأغراض عدة وغالبها خطابا للنبي(ﷺ).

ب – الخطاب بكاف المخاطب

لهذا النوع من الخطاب صيغ متعددة ومنها ما يلي:

أولا: خطاب الله لرسوله (ﷺ) بإضافة الكاف إلى اسم ال(رب): (ربك)

وإليكم هذه الأمثلة من القرآن الكريم في العهد المكي: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٣].

هنا يأمر الله سبحانه رسوله باتباع الوحي والمداومة على ما هو عليه من الشرائع والأحكام.

في قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٤] يبين سبحانه في هذه الآية أنه يجب على الرسول وأتباعه من أمته أن تكون صلاتهم وأضاحيهم كلها لله تعالى، فقد جاء سبحانه بعد كلمة (الرب) بضمير المخاطب (كاف) مخاطبا رسوله بالإخلاص له في جميع العبادات وخاصة العبادتين المذكورتين.

ثانيا: خطاب الله تعالى رسوله (ﷺ) بكاف المخاطب متصلا بأسماء تخص رسول الله وهذه الأسماء إما أن تكون من مكونات بدن الرسول (ﷺ) أو ما اشتمل عليه.

---

(١) سورة البلد،الآية٢.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٠م، فتح القدير، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،٤٩٦/٧.

(٣) سورة الإنعام، الآية١٠٦.

(٤) سورة الكوثر، الآية١.

أ – اتصال (كاف) الخطاب بأسماء تكون بدن النبي (ﷺ)

الأمثلة على ذلك:

نفسك: يخاطب الله سبحانه رسوله محمد (ﷺ) ويسليه بهذه الألفاظ (باخع) وعدم الحسرة، بسبب ما أصابه من حزن وضيق بسبب إعراض المشركين عن دعوة الحق فيقول تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[١] وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[٣].

وجهك: قوله تعالى: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا ﴾[٥].

يأمر الله سبحانه في هذه الآيات رسوله (ﷺ) بالإستقامة في الدين والثبات عليه وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال وقد خص تعالى الوجه بالذكر من بين سائر الأعضاء في هذا الشأن لأنه أشرف الأعضاء.

قلبك: ذكر الله تعالى النبي (ﷺ) مخاطبا إياه بالكاف متصلا بالقلب في موضعين، الأول قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[٦] مبينا سبحانه نزول القرآن الكريم بواسطة جبريل (عليه السلام) على قلب رسول الله (ﷺ).

"قال الجمل: قال الكرخى: وقوله (على قَلْبِكَ) خصه بالذكر وهو إنما أنزل عليه ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ، والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير. ولأن

(١) سورة الكهف، الآية٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٣.

(٣) سورة فاطر، الآية٨.

(٤) سورة يونس، الآية ١٠٥.

(٥) سورة الروم، الآية٣٠.

(٦) سورة الشعراء، الآية ١٩٣–١٩٥.

القلب المخاطب فى الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له"[١].

الثاني قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٢] يبين الله سبحانه وتعالى أن من لوازم الكذب على الله تعالى أن يختم الله على قلب الإنسان، والرسول قد شرح الله قلبه وصدره للإسلام ولقبول الدين الحق فمن المستحيل أن يأتي بشيء من عنده ويدعي أنه من غير الله تعالى.

يمينك: يقول تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[٣] تبين هذه الآية أن القرآن الكريم من عند الله تبارك وتعالى وأن رسول الله (ﷺ) لم يكن في يوم من الأيام قبل نزول الوحي عليه قارئا لكتاب من الكتب ولا عارفا للكتابة وإلا لوقع الشك والريب عند المبطلين في شأن القرآن ولقالوا أنه (ﷺ) قد نقل هذا القرآن بخط يديه من كتب السالفين.

لسانك: حينما كان الوحي ينزل كان رسول الله (ﷺ) ينازع جبريل الوحي ولا يصبر حتى يتمه جبريل فكان يسارع إلى الحفظ مخافة أن يتفلت منه فأمره الله سبحانه وتعالى بأن ينصت له مقبلا له قلبه وسمعه حتى ينتهي النزول[٤]؛ يقول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[٥].

صدرك: جاء هذا اللفظ في أربعة مواضع من القرآن الكريم بضمير الخطاب (كاف) مبينا سبحانه انشراح صدر الرسول بقبوله كل ما هو من الفضائل والكمالات النفسية، ومبينا ضيق صدره بما يقوله المشركون وتعرضه للهموم والأحزان.

---

(١) الطنطاوى، محمد سيد، ١٩٩٥م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دارالنشر، القاهرة،٣١٤٨.

(٢) سورة الشورى، الآية٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية٤٨.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٧م، الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٦٦١/٤.

(٥) سورة القيامة، الآية ١٦.

والآيات الأربعة هي ما يلي:

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾(٢).

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(٣).

ظهرك:جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾(٤)، بيانا لإحدى النعم التي أنعم الله بها على نبيه (ﷺ) وهي إزالة الذنوب والآثام التي تثقل الظهر وتتعب المرسَل إليه وتصده عن أداء الرسالة.

ومن الممكن ربط هذه الكلمة بكلمة أخرى جاء فيها خطاب الله لنبيه (ﷺ) بضمير الكاف، ألا وهي كلمة (الذنب) في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾(٥)، وكلمة (الوزر) التي جاءت في نفس السورة التي ذكر فيها (الظهر) وهي آية ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾(٦).

ب – اتصال كاف الخطاب بكلمات وأسماء تشتمل عليه ولكن من غير بدنه (ﷺ)

كأن يخاطبه الله تعالى بإضافة الكاف إلى أهله جميعا، مكلفا إياه أن يأمر أهل بيته بالمداومة على إقامة الصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٧) مستعملا الخطاب وموصلا إياه بلفظ (الأهل)، أو موصلا إياه بكلمة (القوم) في قوله تعالى في عدة مواضع تارة موضحا

(١) سورة الأعراف، الآية٢.
(٢) سورة هود، الآية١٢.
(٣) سورة الشرح، الآية ١.
(٤) سورة الشرح، الآية ٣.
(٥) سورة غافر، الآية ٥٥.
(٦) سورة الشرح، الآية ٢.
(٧) سورة طه، الآية ١٣٢.

أن القرآن وما فيه من آيات ذكر للنبي ولقومه وتارة أخرى مبينا أن هؤلاء القوم قد كذبوا هذا القرآن الذي أنزل إليهم ليعظهم مع أنه الحق المبين من عند الله عز وجل.

فقال في الأولى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾[١]

وقال في الثانية: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾[٢]

وآيات أخرى في القرآن الكريم جاء فيها لفظ (قومك).

وأيضا من الأعمال التي كان النبي (ﷺ) يتعبد بها هي الصلاة فقد جاء لفظ (صلاتك) خطابا للنبي (ﷺ) في آية واحدة من آيات السور المكية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾[٣] فقد نهي الله نبيه محمد (ﷺ) أن يجهر في قرآءته خلال الصلاة حتى يسمعها المشركون فيسبوا القرآن وأن يخافت بها لدرجة أنه لايسمعها أحدا من خلقه، بل يمسك في ذلك طريقا وسطا بين الجهر والمخافتة.

وأيضا مما جاء به متصلا بكاف الخطاب لفظة (شانئك) بمعنى مبغضك.

"وقرأ الجمهور: (شانئك) بالألف؛ وابن عباس: شينك بغير ألف؛ فقيل: مقصور من شاني، كما قالوا: برر وبر في بارر وبار، ويجوز أن يكون بناء على فعل، وهو مضاف للمفعول إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال؛ وإن كان بمعنى الماضي فتكون إضافته لا من نصب على مذهب البصريين"[٤].

وأيضا منها كلمة (حسابك) في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة الزخرف، الآية٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية٦٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية١١٠.

(٤) أبوحيان الأندلسي، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي، ١٩٩٠م، البحر المحيط،، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٢١/١١.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

ثالثا: خطاب الله تعالى رسوله (ﷺ) بكاف الخطاب المتصلة بالظروف أو الأدوات النحوية

من الظروف التي جاءت في الخطاب المكي كلمة (قبلك)، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

خاطب الله تعالى رسوله (ﷺ) في هاتين الآيتين وغيرها في هذا المجال بهذا اللفظ ليدل على أن نبيه (صلى الله عليه يمشي في طريق قد سار عليه رسل آخرون، فهو تال لهم وليس هو أول من وقع التكذيب عليه.

والآيات التي تحمل لفظ (قبلك) كثيرة يستغنى المجال ذكرها.

ومنها لفظ (معك) التي تحمل معنى الظرفية جاءت في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ففي الأولى يأمر الله الرسول وأمته بالإستقامة على الدين والشرع، وفي الثانية يبين الله تعالى جانبا من اعتذارات المشركين الواهية في عدم دخولهم في الإسلام، أما الثالثة فقد جاءت بيانا لصلاة الليل وقيامه من قبل النبي وأصحابه الذين كانت في بداية الأمر واجبا عليهم أداؤها ومن ثم مع بيان الأعذار والأسباب في الآية بقيت للنبي (صلى الله عليه وسلم) على فرضيتها وصارت لأصحابه سنة ونفلا.

أما الأدوات النحوية التي اتصلت بها كاف الخطاب، منها حروف الجر (عن) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ

(١) سورة الأنعام، الآية٣٤.

(٢) سورة هود، الآية١١٢.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[١] معلقا سبحانه للآيات التي سبقت هذه الآية في علة نهيه سبحانه لنبيه عن اتباع أهواء الذين لايعلمون بأنك يا رسول الله لو اتبعت أهواءهم صرت من الذين يستحقون مؤاخذة الله تعالى لهم وأن هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم لن يدفعوا عنك مما أراده الله بك شيئا.

وأيضا جاءت هذه الأداة مع كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[٢].

ومنها حرف الجر (على)، فكثيرا ما جاءت هذه اللفظة في شأن نزول القرآن وتلاوته على رسول الله (ﷺ) من قبل الله وتقصيص أخبار الأنبياء والأمم السالفة عليه.

كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣].

ومنها حرف (الباء) مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾[٤].

ومنها حرف الجر (لام) مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[٥].

ومن الأدوات النحوية، أداة التوكيد (إنّ):

جاءت لفظة التوكيد (إنّ)، بكسر الهمزة،مع كاف الخطاب للنبي (ﷺ) مبينة تعليل لما قبلها من الأمور ومن ضمنها قول الله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ

(١) سورة الجاثية، الآية١٩.

(٢) سورة الشرح، الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٤١.

(٥) سورة الزخرف، الآية٤٤.

ٱلْمُبِينِ ﴾[١] ومنها ما جاء بفتح الهمزة مع لام القسم وحرف التحقيق لتأكيد الخبر واظهار مزيد من الإهتمام والعناية بالخبر عنه (ﷺ) في الحال والإستقبال[٢].

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٣]

رابعا: خطاب الله تعالى رسوله (ﷺ) بكاف الخطاب المتصلة بالأفعال الماضية:

وقد تدخل كاف الخطاب على الأفعال الماضية خطابا لرسول الله، سواء كانت تلك الأفعال في سياق التوكيد لرسالة النبي (ﷺ) إلى الناس كافة، لذا أمر بتبليغ تلك الرسالة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٤].

أو كانت في سياق الشرط إذ يقتضي الشرط أن يقوم بما أمره الله تعالى بعد تحقق فعل الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٦].

خامسا: خطاب الله تعالى رسوله بكاف الخطاب المتصلة بالأفعال المضارعة

هناك فرق بين هذه الأفعال والأفعال الماضية في الدلالة على الوقت الحاضر للخطاب، فالأفعال في الفقرة السابقة الزمان فيها قد مضى وانقضى ولكن هذه الأفعال،أي المضارعة، لايزال الزمان فيها جاريا لم ينقض.

---

(١) سورة النمل، الآية ٧٩ .

(٢) الطنطاوي، محمدسيد، ١٩٩٥م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دارالنشر، القاهرة،٢٤٩٤.

(٣) سورة الحجر، الآية٩٧.

(٤) سورة فاطر،الآية٢٤.

(٥) سورة يونس،الآية٤١.

(٦) سورة الأنعام،الآية ٥٤.

مثال ذلك فعل (يسأل)، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[1].

خطاب الله تعالى لنبيه بالنداء له (ﷺ):

يشمل هذا الخطاب توجيه النبي (ﷺ) في أمور الدين والدنيا، ولهذا نودي النبي بلفظ (الرسول) و(النبي).

ويبين الرازي الفرق بين الرسول والنبي حيث يقول في تفسيره: "ذكروا في الفرق بين الرسول والنبي أموراً: أحدها: أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله والثاني: أن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول، وهؤلاء يلزمهم أن لا يجعلوا إسحق ويعقوب وأيوب ويونس وهرون وداود وسليمان رسلاً لأنهم ما جاءوا بكتاب ناسخ والثالث: أن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولاً، أو أخبره أحد من الرسال بأنه رسول الله، فهو النبي الذي لا يكون رسولاً وهذا هو الأولى"[2].

فخطاب الله تعالى لمحمد (ﷺ) بلفظي (الرسول والنبي) يدل على تعظيم قدره (عليه الصلاة والسلام) إذ لم يرد نداؤه بصفة الرسولِ إلا في أثناء الخطاب المدني، فهذه الصيغة لم ترد في الخطاب المكيِّ البتة؛ لأن خطاب الله تعالى لمحمد (ﷺ) بلفظ (الرسول) يدل على إثبات رسالته (ﷺ) إلى الناس كافة، وكأن في ذلك ردًا من الله تعالى على اليهود الذين زعموا بأنه (ﷺ) نبي للعرب فقط، وتوكيدًا من الله على صدق رسالته إلى العالمين.

---

(١) سورة الكهف،الآية ٨٣.

(٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، ٢٠٠٠م، مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية،/٢٣/٥٠.

خطاب الله تعالى لنبيه بإلحاق تاء الخطاب بالأفعال:

وفي هذا القسم سواء كانت هذه التاء تلحق بالفعل الماضي كما في الفعل (رأى) الماضي مسبوقا بالإستفهام كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[١] فأكثر الألفاظ بهذا الفعل جاءت ردا على من كذب دين الله وأنكره من الكفار والمشركين.

أو كانت هذه التاء تسبق الفعل المضارع والتي هي من الحروف المضارعة في الفعل المضارع مثل الفعل (تدري) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢] مبينا سبحانه في هذه الآية جانبا من مظاهر فضله تعالى على نبيه (ﷺ).

"فالمقصود بهذه الآية الكريمة نفى علم الرسول (ﷺ) بهذا القرآن قبل النبوة، ونفى أن يكون أيضا عالما بتفاصيل وأحكام هذا الدين لا نفى أصل الإيمان.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٣].

وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٤].

والضمير فى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعود إلى القرآن الكريم، الذى عبر عنه بالروح"[٥].

خطاب الله تعالى لنبيه بصيغة الأمر:

وقد تتنوع أفعال الأمر التي خاطب الله تعالى بها نبيه وهي مقسمة على ما يلي:

---

(١) سورة الماعون، الآية ١.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٣) سورة النساء، الآية١١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية ٣

(٥) الطنطاوى، محمدسيد، ١٩٩٥م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النشر، القاهرة،٣٧٨٢.

القسم الأول: خطاب الله تعالى لنبيه بفعل الأمر (قل) و(وقل) الذي جاء في سياقات مختلفة من آيات الخطاب المكي وشمل عديدا من الآيات ومنها ما جاء بداية الآيات ومنها ما جاء في مواضع غير أول الآيات.

أما ما جاء في بداية آيات العهد المكي منها قوله تعالى في بداية المعوذتين (سورتي الفلق والناس) آمرا سبحانه نبيه أن يستعيذ بالله من أمور شتى ذكرت في السورتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

وما جاء منها بالواو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣] قد أمر الله سبحانه رسوله في هذه الآية أن يدعوا ويطلب منه سبحانه أن يغفر له ذنوبه ويرحمه.

وأما ما جاء في خلال الآيات وفي غير أول الآية قوله تعالى في سورة الإسراء إجابة على منكري البعث بعد أن قالوا من الذي سوف يعيدنا بعد أن متنا وصرنا ترابا فجاء الجواب منه سبحانه وتعالى خطابا لرسوله (ﷺ) بصيغة الأمر بأن يجيبهم بهذا الجواب: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٤].

وأما ما جاء في الوسط مع (الواو) قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٥]، في هذه الآية ارشاد وتسلية من الله تعالى بالإعراض عن المشركين وإذالم تنفع دعوته فيهم أن يقول لهم سلام وأن يدعهم وشأنهم ويتركهم.

القسم الثاني: خطاب الله تعالى نبيه (ﷺ) بالأفعال، أمر آخر غير (قل) أو أفعال نهي.

---

(١) سورة الفلق، الآية ١.

(٢) سورة الناس، الآية١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١١٨

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٧.

(٥) سورة الصافات، الآية ٨٩.

أولا:

١) أفعال الأمر التي جاءت على أكثر من مرة في آيات الخطاب القرآني في العهد المكي.

وهذه الأفعال ما يلي: (أقم – أعرض – انظر – بشّرِ – أنذر – أتل)

وما جاء منها على مرة أو مرتين وهي: (اتبع – جاهد – استغفر)

وإليكم أمثلة على بعض هذه الأفعال:

أ – أقم:

جاء هذا الفعل خطابا للنبي (ﷺ) على صيغة الأمر آمرا سبحانه نبيه بالإقامة في ستة مواضع ومن هذه المواضع ثلاثة منها جاء بمعني إقامة الصلاة كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾[١]

وقوله: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[٣].

ومنها ثلاثة آيات جاءت بلفظ إقامة الوجه للدين الذي هو بمعنى الإستقامة والبقاء على الدين.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٤].

وقوله: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا ﴾[٥].

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ ﴾[٦].

---

(١) سورة هود، الآية ١١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية٧٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٤) سورة يونس، الآية ١٠٥.

(٥) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٦) سورة الروم، الآية٤٣.

قال الزمخشري: "فقوِّم وجهك له وعدِّ له، غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه، مقبلاً به عليه"(١).

وقال الرازي: "إقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية إلى طلب الدين، لأن من يريد أن ينظر إلى شيء نظراً بالاستقصاء، فإنه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لا بالقليل ولا بالكثير، لأنه لو صرفه عنه، ولو بالقليل فقد بطلت تلك المقابلة، وإذا بطلت تلك المقابلة، فقد اختل الأبصار، فلهذا السبب حسن جعل إقامة الوجه للدين كناية عن صرف العقل بالكلية إلى طلب الدين"(٢).

ب – انظر:

جاء خطاب الأمر (انظر) من الله تعالى لرسوله (ﷺ) في مواطن عدة من القرآن الكريم وهي أكثر من عشرة مواضع يأمر الباري سبحانه رسوله أن ينظر تارة إلى عاقبة كل من المجرمين، المفسدين، المكذبين، المنذَرين والظالمين، وتارة يرشد رسوله إلى أسباب أمره للنظر وهي أكثر إما كفر أو مكر أو تكذيب وغيرها من النظرات.

فخطابات الله تعالى لرسوله بالنظر تشمله في حياته وتشمل كل أمته في حياته وبعد مماته إلى قيام الدين؛ "ظاهر هذا اللفظ وإن كان مخصوصاً بالرسول عليه الصلاة والسلام إلا أن المراد سائر المكلفين ليعتبروا بذلك فينزجروا"(٣).

ج – بشّر:

هذه الكلمة أي بشّر مأخوذة من البشارة وهو الخبر السار وسمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهي ظاهر جلد الإنسان والمأمور بالتبشير هو النبي محمد (ﷺ) كما هو أيضا مأمور بالإنذار.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٧م، الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٢٥١/٥.

(٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، ٢٠٠٠م، مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية،٣٥٨/٨.

(٣) مرجع السابق،١٨٢/٧.

وهذه اللفظة جاءت في أكثر المواضع على خلاف معناها الحقيقي الذي هو التبشير وإدخال الفرح والسرور على الإنسان، ومثالا على ذلك قول الله تعالى: (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[١])؛ فهذه الآية بشارة بالعذاب الأليم في الآخرة لكل من يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يعرض عنها ولايهتم بسماعها، فالبشارة هنا تهكم به واستخفاف بتصرفاته[٢].

وأيضا جاءت بمعناها الأصلى في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[٣] وهذه البشارة جاءت لكل من اتبع كلام الله وخشى الله سبحانه بالغيب.

وأفعال الأمر التي جاءت مرة أو مرتين هي ما يلي: (اتبع – جاهد – استغفر – اعبد).

ثانيا:

أفعال النهي ومنها ما يلي: (لاتحسبنّ – لايحزنك – لاتدع)

لاتحسبنّ:

جاء هذا الخطاب بالنهي بهذا اللفظ في الخطاب المكي في آيتين جاءت كلتاهما في سورة إبراهيم، الأولى مسبوقة بالـــــــ (واو) والثانية بالـــــــ (فاء).

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[٤].

وقوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[٥].

الخطاب الأول خطاب نهي من الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) بأن لايظن أن الله تعالى غافل عن ظلم الظالمين فهذا الخطاب كما قال الآلوسي: "خطاب لكل من توهم غفلته تعالى، وقيل: للنبي (ﷺ) كما هو المتبادر، والمراد من النهي تثبيته ﷺ على ما

(١) سورة الجاثية، الآية ٨.

(٢) الطنطاوى، محمدسيد، ١٩٩٥م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دارالنشر، القاهرة، ٣٣٥٨.

(٣) سورة يس،الآية ١١.

(٤) سورة إبراهيم،الآية٤٢.

(٥) سورة إبراهيم،الآية٤٧.

هو عليه من عدم ظن أن الغفلة تصدر منه عز شأنه"[١].

وفي الخطاب الثاني يقول الآلوسي:"تثبيت له (ﷺ) على ما هو عليه من الثقة بالله سبحانه والتيقن بانجاز وعده تعالى بتعذيب الظالمين المقرون بالأمر بانذارهم كما يفصح عنه الفاء"[٢].

لايحزنك:

خطاب من الله تعالى بالنهي لنبيه (ﷺ) على عدم حزنه على ما يقوله الكفار بتكذيبهم الرسالة وعدم حزنه على كفرهم.

"نهى للنبي (ﷺ) عن الحزن من قول الكفار المتضمن للطعن عليه وتكذيبه والقدح في دينه والمقصود التسلية له والتبشير"[٣].

جاء هذا الفعل مع النهي في الخطاب المكي خطابا من الله تعالى لنبيه تارة مع الـــ(واو) (ولايحزنك)، وتارة مع الـــ(فاء) (فلايحزنك)، وقد قرأت على وجهين: (لايحزُنك) و(لايحزِنك) من حَزِنَ أو أحزَنَ، وأكثر استعمال هذا الفعل من باب الإفعال وهو أحزن يحزِن ومعناه أي: لايهمك كفر من كفر وكيده للإسلام فإن الله دافع كيده ومنتقم منه[٤].

وأما الآيات فهي ما يلي:

﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٥].

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٦].

---

(١) الآلوسي، أبوالفضل محمود بن عبدالله، ١٩٩٧م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٤٠٣/٩.

(٢) مرجع السابق، /٤١٥/٩.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٠م، فتح القدير، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،٣٩٧/٣.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ١٩٩٧م، الكشاف، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٢٨٥/٥.

(٥) سورة يونس، الآية٦٥.

(٦) سورة لقمان، الآية٢٣.

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[١].

لاتدع:

جاء هذا الفعل المنهي خطابا من الله لنبيه بعدم اتخاذ إلها آخر مع الله، إلها لاينفع ولايضر.وهو كسابقيه من الأفعال المنهية جاء مع الـــــــ(واو) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٣]، ومع الـــــــ(فاء) في قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾[٤].

يقول الآلوسي: "خوطب به النبي ﷺ مع استحالة صدور المنهي عنه عليه الصلاة والسلام تهييجاً وحثاً لازدياد الإخلاص فهو كناية عن أخلص في التوحيد حتى لا ترى معه عز وجل سواه. وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لم يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه"[٥].

وأيضا من الأفعال التي جاءت بالنهي ما يلي:

لاتجعل – لاتستعجل – لاتتبع – لاتحرك – لاتمدنّ – لاتقهر – لاتنهر – لاتمنن

خطاب الله تعالى لنبيه بصيغة الغائب

وتشتمل على الآتي:

أ – الخطاب بضمير الغائب المنفصل مثل: (هو) و(هم)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على التنوع الموجود في خطاب الله تعالى لنبيه بصيغة الغائب.

أما خطابه بصيغة الغائب المفرد فهو قول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[٦]،

---

(١) سورة يس، الآية ٧٦.

(٢) سورة يونس، الآية ١٠٦.

(٣) العنكبوت، الآية٨٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية ٢١٣.

(٥) الآلوسي، أبوالفضل محمود بن عبدالله، ١٩٩٧م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،/١٤/٣٧١.

(٦) سورة التكوير، الآية٢٤.

وأما صيغة الغائب الجمع قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[١]، فالذي جاء بالصدق هو محمد (ﷺ) والذي صدق به هو أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) الذي صدقه في حادثة الإسراء والمعراج وباقي أصحابه (رضي الله عنهم).

ب – الخطاب بـــــ(هاء) الغائب مضافا إليها أسماء تتعلق بالنبي (ﷺ) مثل كلمة (رب) حيث يقــول الله تعالـــى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[٢]، وقولـــه: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣].

ج– الخطاب بـــــــ(هاء) الغائب المتصلة بالفعل: مثل الأفعال (عزروه ونصروه) في قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٤]، وفعل (اتبعوه) في قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٥].

د) خطاب الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) بإلحاق الأدوات بـــــــ(هاء) الغائب: كما في اتصالها بالحرف (إلى) و(على) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[٧] وآيات عديدة أخرى.

خطاب الله تعالى لنبيه بصيغ أخرى غير الخطاب والغيبة:

أ – خطاب الله تعالى له (ﷺ)بلفظ (الرسول) أو (رسول)، كما جاء في آيات عدة

(١) سورة الزمر، الآية٣٣ .
(٢) سورة النجم، الآية ١٨.
(٣) سورة العنكبوت، الآية٥٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية١٥٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية١٥٨.
(٦) سورة الفرقان، الآية٧.
(٧) سورة الجن، الآية ١٩.

من الخطاب المكي، منها قوله سبحانه ناقلا تضرع وشكاية الرسول محمد (ﷺ) لربه عز وجل بأن قومه قد تركوا وهجروا كتاب الله فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وجاء بيان كلمة (رسول) من دون (ال) في سورة الحاقة مبينا سبحانه أن القرآن الذي بين أيديهم ما قاله محمد قد جاء به من عند الله وليس بقول شاعر ولاكاهن: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وجاءت هذه الكلمة بصيغ مختلفة مثل: (رسوله) في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[3]، وكلمة (رسله) في قوله تعالى مخاطبا رسوله (ﷺ) حيث يقول: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[4]، تسلية له (عليه الصلاة والسلام) ليشمل هذا الوعد النبي وسائر الأنبياء والمرسلين؛ وكلمة (المرسلين) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[5].

ب – خطاب الله تعالى له (ﷺ) بصيغة (النبي)

جاء هذا الخطاب في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

(٢) سورة الحاقة، الآية٤٠-٤٣.

(٣) سورة الجن، الآية ٢٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية٤٧.

(٥) سورة يس، الآية٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية١٥٧.

ج) خطاب الله تعالى له (ﷺ) بصفاته

كوصفه بـــ (شاهد) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾(١)، ووصفه بـــ (مبشر ونذير) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢)، ووصفه بـــــ (بشير ونذير) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)، وكلمة (عبد) التي وردت في القرآن الكريم في الآيات المكية ست مرات مضافة إما إلى (الهاء) التي ترجع إلى الله تعالى وإما إلى لفظ الجلالة (الله) وذلك في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾(٤)، ووردت في موضع واحد نكرة وذلك في قوله تعالى: ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾(٥) وفي بقية المواضع ذكرت مضافة إلى الهاء كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٦) وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾(٧).

وهذا الوصف والمقام أي مقام (العبودية) هي من أعلى المقامات التي يصل إليها رسول من الرسل، وقد اتصف بها رسولنا محمد (ﷺ) في القرآن الكريم كما اتصف بها غيره من الأنبياء.

د – خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) باسم الإشارة

كما في صيغة المفرد في اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ

(١) سورة المزمل، الآية١٥.
(٢) سورة الفرقان، الآية٥٦.
(٣) سورة سبأ، الآية٢٨.
(٤) سورة الجن، الآية١٩.
(٥) سورة العلق، الآية١٠.
(٦) سورة الإسراء، الآية ١.
(٧) سورة الكهف، الآية١.

﴿ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[١] نقلا عن مشركي قريش الذين لم يكتفوا بقولهم أن محمدا قد افترى القرآن وأن القرآن أساطير الأولين بل قالوا سخرية: كيف يكون محمد رسولا وشأنه كشأن باقي البشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق[٢].

ولم يرد اسم الإشارة مباشرة من الله تعالى في حق نبيه إلا في موضع واحد في آيات العهد المدني وذلك تعظيما له وتشريفا، حيث يقول المولى سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] بيانا لأولية محمد (ﷺ) باتباع إبراهيم (عليه السلام) من جهة أنه من ذريته ومن جهة أخرى أنه موافقا لدينه في كثير من الأمور[٤].

لاحظنا تنوع خطاب الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) في آيات الخطاب المكي، سواء كان ذلك في استعماله تعالى لأسماء النبي وصفاته، أم في استعماله للضمائر، أم لأفعال الأمر التي خوطب النبي بها، أم في النداءات التي في القرآن الكريم.

النتائج:

لوحظ أن خطابات الله تعالى متنوعة في القرآن الكريم، فهذه المقالة جاءت لتبيّن هذا النوع من الخطاب في العهد الأول لنزول الوحي ألا وهو العهد المكي، تلك الفترة التي دامت ثلاث عشرة سنة ما قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة؛ وقد جاء خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) بصيغ مختلفة ابتدأت بالخطاب وذكر بعدها بالنداء ثم بإلحاق تاء الخطاب بالأفعال ثم بعد ذلك صيغ الأمر والغيبة؛ وغآيات خطاب الله تعالى لنبيه (ﷺ) في آيات العهد المكي هي: توكيد صدق النبي ورسالته وتثبيته على طريق الدعوة وتوجيهه إلى كيفية الدعوة لهذا الدين.

---

(١) سورة الفرقان، الآية٧.

(٢) الطنطاوى، محمدسيد، ١٩٩٥م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دارالنشر، القاهرة.٣١١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية٦٨.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٠م، فتح القدير، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع./١/٢٩٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن جرير الطبري، محمد؛ (١٤٠٥هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ بيروت: دار الفكر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر؛ (١٣٨٤هـ) التحرير والتنوير؛ تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
- أبوحيان الأندلسي، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي؛ (١٩٩٠م) البحر المحيط، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الآلوسي، أبوالفضل محمود بن عبدالله؛ (١٩٩٧م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد؛ (١٩٩٨م) الصحاح؛ دار الفكر العربي.
- الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد؛ (١٩٩٧م) مفردات ألفاظ القرآن؛ الطبعة الثانية، بيروت: دار القلم.
- الزرقاني، محمد عبدالعظيم؛ (١٩٩٦م) مناهل العرفان في علوم القرآن؛ الرياض: مكتبة مصطفى الباز.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله؛ (١٣٩١هـ) البرهان في علوم القرآن؛ بيروت: دار المعرفة.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر؛ (١٩٩٧م) الكشاف؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السيوطي، جلال الدين؛ (١٩٩٣م) الدر المنثور؛ بيروت: دار الفكر.
- السيوطي، جلال الدين؛ (١٩٨٨م) الإتقان في علوم القرآن؛ بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد؛ (١٩٩٢م) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول؛ بيروت: دار الفكر.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد؛ (٢٠٠٠م) فتح القدير؛ بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

- الطنطاوى، محمدسيد؛ (١٩٩٥م) التفسير الوسيط للقرآن الكريم؛ دارالنشر: القاهرة.
- الطوفي، نجم الدين بن عبدالقوي؛ (١٩٩٠م) شرح مختصر الروضة؛ بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الغلاييني، مصطفى؛ (١٩٨٧م) جامع الدروس العربية؛ الطبعة الثانية، بيروت: المكتبة العصرية.
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر؛ (٢٠٠٠م) مفاتيح الغيب؛ الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب؛ (١٩٩٦م) القاموس المحيط؛ الطبعة الخامسة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفيومي، لأحمد بن محمد؛ (١٩٨٧م) المصباح المنير؛ بيروت: المكتبة العلمية.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبو بكر؛ (١٣٧٢هـ) الجامع لأحكام القرآن؛ الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشعب.
- اليحصبي السبتي المغربي، أبوالفضل عياض؛ (٢٠٠٢م) الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ دارالفكر.